



لماذا تتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل

ريتشارد ليو نيد ليو ، ترجمة الدكتور إيهاب عبد الرحيم الصادر ترجمته العربية عن سلسلة عالم المعرفة
2013

يتحدث كتاب لماذا تتحارب الأمم للكاتب ريتشارد ليو عن الفروقات بين دوافع الحروب بين الماضي والحاضر عبر ثلاثة قرون من الصراعات مع التركيز على الصراعات الأخيرة .

يقدم الكثير من الحروب بصورة شبه احصائية و سردية ويخلص الكتاب إلى أن الحروب اليوم باتت أكثر صعوبة كما أن المكاسب الأمنية والمادية باتت ضئيلة جداً مع تقدم العلم بمعنى أن الفوز أو النصر بات مبهما أكثر بكثير مما كانت عليه الأمور فيما مضى.

ورغم أن الكاتب يؤكد على أن الحروب لن تختفي، إلا أنه يوضح أن الطرفين مهما كان تباين القوة فيما بينهما سوف يخسر كل منهما أكثر بكثير مما يمكن أن يربحه من الحرب.

أجزاء الكتاب

يتألف الكتاب من أربعة أجزاء مقسمة إلى سبعة فصول، يفند الكاتب أسباب الحرب ودوافعها .

الفصل الأول

يبدأ بالحديث عن علاقة العنف المنظم بالحروب، وتأثير الحرب على المنظومة الاجتماعية والاقتصادية العالمية، كما يوضح الكاتب معنى الحرب من المنظور السياسي والأدبي الفلسفي وينتقل منها إلى الأسباب العامة للحرب وعلاقة الإيدولوجيات والدول بالحروب.

الفصل الثاني

يتناول التفسيرات المتعلقة بالحروب من منظور واقعي، ويتحدث عن انتقال السلطة بين الأنظمة في الدولة الواحدة، ويعرض نظريته في العلاقات الدولية ورؤيته للدول القادرة على إشعال الحروب والدول التي يرجح أن تبادر للهجوم.

الفصل الثالث

يورد نظرة عامة وشرح عن فرضياته الست التي قد تُشعل الدول بالحروب بسببها.

الفصل الرابع

يوضح مجموعة البيانات التي اعتمد عليها لبناء نظرياته، فقد استخدم الكاتب بيانات أنشأها هو وزملاءه الآخرين أثناء بحث سابق.

الفصل الخامس والسادس

يدرس العلاقة المتغيرة بين الخوف والمصلحة والحرب ثم العلاقة بين المكانة والانتقام.

الفصل الأخير

يتحدث الكاتب عن الظروف والأفكار المادية المحيطة بالحرب، كما يطرح الكاتب عدة أسئلة ويجب عنها، فهو يتساءل عن أسباب سوء السمعة المرتبطة بالحروب، وختاماً يسأل "هل الحرب لا تزال ممكنة؟"

محتوى الكتاب

اشتهر نيد ليبو في العالم العربي بهذا الكتاب بعد ترجمته إلى اللغة العربية ، وذكر نيد ليبو في هذا الكتاب فما يتعلق بأسباب قيام الحروب أن المكانة هي أهم أسباب قيام الحروب بين الدول بعضها البعض ، وكذلك يرى ليبو عبر ما تم ذكره في الكتاب أن الروح الوطنية هي سبب هام أيضا في حروب القرون المختلفة.

ويعتقد ليبو أن هناك أربعة أمور هامة هي التي كانت من أهم أسباب الحروب والمنازعات بين الدول وهي الخوف والمصلحة والمكانة والانتقام ، وعبر تطرقه ودراسته في العديد من القرون المختلفة للتعرف على أسباب الحروب تبين أن الحرب بسبب الخوف أو المادة هي الأقل من حيث النسبة ، حيث احتلت الأسباب الأخرى الباقية الجانب الأكبر من أسباب الحروب عبر القرون.

إن الانتقام والحصول على المكانة والأخذ بالثأر من الدول الأخرى ، كل ذلك كان سبب رئيس في قيام الحروب بين الدول ويكون الثأر بين الدول بعضها البعض عندما تسيطر دولة على أخرى كانت تلك الدولة قد أخذت بعض الأراضي ، والممتلكات منها في السابق ، فيكون الدافع هنا دافع انتقام وثأر بين الدول.

كذلك أكد العالم السياسي نيد ليبو على انخفاض مستوى الحروب بين الدول بعضها البعض على الجانب الآخر تزداد الحروب في داخل الدولة ذاتها مما قد يولد الحروب الداخلية ، وذلك عن طريق تعدد التحيزات والانتماءات المختلفة بين تلك الدول.

وعلى عكس ما هو متوقع قال العالم السياسي نيد ليبو أنه اكتشف أن الخوف كان سبب في 19 حرب ضمن الحروب التي تطرق ليبو لدراستها ، تلك الحروب التي يبلغ عددها الأربعة وتسعين حربا ، وهو لا يعني بذلك التقليل من أهمية الحصول على الأمن في تلك البلاد على العكس من ذلك تماما ، فلا بد أن يكون الأمن من أهم أولويات جميع الدول المختلفة ، كما أكد عبر دراساته المتعددة للحروب أن الأمور المادية احتلت نسبة قليلة جدا ضمن أسباب الحروب ، حيث أنها كانت سبب في 8 حروب فقط ضمن الأربعة والتسعين حربا التي قام بدراستها.

حرب المكانة

احتلت المكانة النسبة الأكبر في أسباب الحروب المختلفة حيث أنها كانت بنسبة 58% مقارنة بباقي الأسباب التي قامت الحروب من أجلها ، أي أنها كانت من ضمن الأسباب الرئيسية في 62 حرب من بين تلك الحروب .

كان دافع الحرب من أجل الانتقام بنسبة 10% وذلك لأنه كان سبب في 11 حربا من الحروب التي تطرق إلى دراستها ، كما يرى حسبما تؤكد الدراسات أن الحرب بدافع المكانة سوف تتقلص وذلك للانفصال بين كل من الحرب والمكانة ، وذلك لأن النجاح في بادئ الأمر في الحرب لا يعتبر سبب قوي لنجاح تلك الحرب بشكل حتمي .

حرب العراق

أفرد الكاتب حيز كبير في كتابه لحرب العراق، فهي كما يراها الكاتب أبرز مثال لحروب المكانة، فتدخل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في العراق له دوافع أخرى غير الدوافع الإقتصادية التي يتبناها الكثير من المحللين والمفكرين.

قد تكون الإجابة على سؤال " لماذا اختارت إدارة بوش غزو العراق؟" أمر بديهي للكثير من الناس، وعلى الرغم من أن التصريحات والنظريات التي تفترض أن الغزو كان بدافع الرغبة في الحصول على نفط العراق وأن تكون الولايات المتحدة قد شرعت في استراتيجية طويلة الأجل لأمن الطاقة تسمح لها بأن يكون لها وجود في الشرق الأوسط عندما تبدأ احتياطات النفط في التضاؤل مستقبلا ويصبح لها اليد العليا على موارد الشرق الأوسط فإن هذا التفسير أو تلك الإجابة تبدو غير مقنعة بالنسبة للكاتب، الولايات المتحدة الأمريكية إذا كانت وافقت على رفع الحصار عن العراق، كانت لتكون أكبر المستفيدين من النفط العراقي، ولكن الكاتب يرى أن الحرب لم تكن من أجل تلك الموارد بل جاءت لتكون حرب مكانة تُظهر فيها الولايات المتحدة الأمريكية سطوتها ومكانتها على العالم بعد أن أصبحت قطبه الأوحده بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991.

ويعتقد الكاتب أن بفشل حرب العراق وانخفاض التأييد الشعبي لها، فإن الأهداف التي سعت الولايات المتحدة الأمريكية إظهارها للعالم قد جاءت مغايرة وكانت النتائج سلبية، ويستنتج الكاتب من ذلك أن حروب المكانة سوف تنخفض ويصبح حدوثها أمر أصعب مما كان عليه سابقا، ما ينعكس بصورة مباشرة على انخفاض وتيرة الحروب.

الحرب لا تزال ممكنة

يري الكاتب أن الحروب بين الأمم سوف تقل في المستقبل مقارنة بالماضي، فالقوي العالمية استطاعت ضبط النفس وتجنب البشرية العشرات من الحروب المحتملة في النصف الثاني من القرن العشرين، حروب كانت لتكون ذات تكلفة باهظة من الارواح والاموال، فالمحفزات التي قد تدفع الدول للحرب أصبحت في غاية الصعوبة والندرة، خاصة بعد الحرب العالمية الاولى والثانية أكثر الحروب كلفة في التاريخ، فقد نتج عنهما ما لا يقل عن 10.4 مليون قتيل في الحرب الأولى و50 مليون قتيل في الحرب الثانية لكن في الوقت الذي تنخفض فيه الحروب بين الأمم يرتفع فيه العنف الداخلي كالصراعات داخلية الحادثة في سوريا والعراق

ولبنان، بالإضافة إلى أن الحروب القادمة قد لا تشعلها الدول بل المنظمات الإجرامية أو الإرهابية الدولية التي لها دوافع مختلف مثل داعش.

وفي النهاية يتساءل الكاتب هل لا تزال الحرب ممكنة ؟

بالتأكيد الحرب لم تعد بالسهولة التي كانت عليها في الماضي وبالرغم من أن أسباب الحرب لا تزال موجودة وممكنة لكن الحياة أصبحت أكثر قيمة على الجميع، مما يجعل النظرة للحرب أنها آفة يجب تجنبها، ما يجعل إقناع الشعوب بالحرب امرا صعبا عكس ما كان سابقا، لكن من المؤكد انها ليست مستحيلة.

مقتطفات من الكتاب

ليس هناك شك أن الروح هي السبب الرئيسي للحروب عبر القرون وعلى ذلك هي و عواقبها تم تجاهلها بصورة شبه كاملة في أدبيات العلاقات الدولية.

يمكن القول أن أهم وظيفة للقومية في العالم الحديث هو توفير إرضاء غير مباشر للروح.

لا تزال الروح و سعيها الى نيل الشرف و المكانة يمثلان قوة عالمية فاعلة و مدمرة الى حد كبير.

يمكن اختصار معظم إن لم يكن جميع السلوكيات المتعلقة بالسياسات الخارجية في ثلاثة دوافع أساسية هي : الخوف و المنفعة و الشرف.

رغم أن الحروب قد تنشب عادة عن قرار القيادة باستخدام القوة فإن المسؤولية عنها لا تقع دائما على عاتق الدولة التي أقدمت على الخطوة الأخيرة، عادة ما يكون إعلان الحرب أو عبور الحدود هو الخطوة الأخيرة في عملية طويلة تنطوي على استفزازات من الجانبين

لا تمتلك المؤسسات و الدول نفوسا ولا عواطف لكن الناس الذين يديرون هذه الجماعات أو ينتسبون اليها يمتلكونها و هم يقومون في كثير من الأحيان بإسقاط احتياجاتهم النفسية على وحداتهم السياسية و من ثم يشعرون بالرضا عن أنفسهم عندما تحقق تلك الوحدات انتصارات أو تبلي بلاء حسنا.

تكتسب الدول القوة لتجنب الهجوم أو الاخضاع أو الإبادة من قبل الدول الأخرى و هذه الجهود لضمان أمنها تجعل الدول الأخرى أقل شعورا بالأمان و ترغمها على الاستعداد للاسوأ و لان أحدا لا يمكنه أن يشعر بالأمن المطلق في عالم الوحدات المتنافسة يقع التنافس على السلطة مما يستهل الحلقة المفرغة من الأمن و تكديس القوة.

إن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها للحرب أن تقلل من قوة دولة ما على المدى الطويل هي التقسيم الدائم أو تفكيكها أو غزو و احتلال أراض تضم نسبة كبيرة من سكانها و مواردها الاقتصادية.

بما أن الحرب مكلفة و محفوفة بالمخاطر فلا بد من أن تمتلك كل الدول العقلانية حوافز تفضلها على مقاومة الحرب.

في غياب الحافز أو الحشد المناسبين لم يكن لأحداث مثل الحروب و الثورات أن تقع حتى لو وجدت الظروف الملائمة المستنبطة لها.

ينضم الناس الى المؤسسات الجماعية أو يدعمونها آملين الحصول على مكافآت مادية و معنوية و هم يبنون احترام الذات بالطريقة نفسها عن طريق الإنجازات التي تحققها الجماعات و الفرق الرياضية و الأمم و الأديان التي ينتسبون لها.

إن القيمة المنسوبة للشرف في العوالم القائمة على الروح و شدة المنافسة عليها تغري الفاعلين بانتهاج طرق مختصرة لنيل الشرف و بمجرد أن ينتهك الفاعلون القواعد و يفلتون

من العقاب سيحذو الآخرون حذوهم لتجنب فقدان الأفضلية وإذا ما انتهكت القواعد التي تحكم الشرف على نحو مستمر فسيتحول الى مفهوم لا معنى له وستتحول المنافسة على الشرف الى تنافس على المكانة وهي أكثر عنفاً

الشهرة لا تتطلب الإتيان بأعمال بطولية فحسب لكنها تستلزم وجود شعراء يتغنون بتلك الأعمال و أناس مستعدين للاستماع لهم.

عندما يكون المجتمع قويا – أي عندما تكون قواعده واضحة دون لبس – فان التنافس على نيل الشرف و المكانة يدعم ويعزز قيم ذلك المجتمع

لا معنى للشعور بالغضب تجاه من لا يمكنهم إدراك غضبنا ويمثل الغضب ترفا لا يمكن أن يستشعره الا من يتمتعون بوضع يمكنهم من الانتقام

التبادل الحر لرؤوس الأموال و السلع والناس والأفكار يصب في المصلحة المشتركة الطويلة الأمد لجميع الدول التجارية

إن تغيرات السلوك تحرض على حدوث تغيرات في الهويات لأننا نرجع مفاهيمنا حول أنفسنا لجعلها تتماشى مع سلوكنا و يمكن للتغيرات الحادثة في عدد كاف من الفاعلين المهمين ان تبدل طبيعة النظام الدولي.